



الفلاحة وإشكالية الموارد المائية

بجماعة خميس سيدي يحيى بإقليم الخميسات

الباحثة فاطمة الزهراء بنزكري

طالبة باحثة في سلك الدكتوراه

الدكتور عبد الخالق غازي، أستاذ التعليم العالي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ابن طفيل، القنيطرة

المغرب

ملخص

تتوفر جماعة خميس سيدي يحيى على إمكانيات مائية متنوعة (آبار، أودية،...) لخلق تنمية فلاحية مستدامة. لكن، بين تشخيص الوضعية الحالية والمستقبلية فإن الموارد المائية بالجماعة غير قابلة للاستدامة، بسبب العديد من العوامل أهمها الضغط البشري والاستهلاك الكبير في الميدان الفلاحي وكذا التغيرات المناخية.

ولمواجهة هذه الوضعية، لا بد من اتخاذ تدابير ناجعة قصد تنظيم توزيع المواد المائية ومراقبة استعمالها وكذا ضمان حمايتها والحفاظ عليها.

Résumé

La commune de Khemiss Sidi Yahya dispose de potentialités hydriques diversifiées (puits, vallées....) pour assurer un développement agricole durable. Néanmoins, le diagnostic de la situation actuelle et future révèle que les ressources en eau dans la commune sont non durables à cause de plusieurs facteurs précisément la pression humaine, la consommation excise du domaine de l'agriculture ainsi que les changements climatiques.

Afin de pallier à cette situation, il s'avère indispensable de prendre de mesure efficace permettant d'organiser la répartition des ressources en eau, de contrôler leur utilisation et d'assurer leur protection et leur préservation.



مقدمة

تعتبر الفلاحة محركا اقتصاديا هاما بجماعة خميس سيدي يحيى حيث تساهم بشكل كبير في تنميتها الاقتصادية والاجتماعية وتبرز أهميتها في كونها مصدرا مهما للمنتجات الغذائية وتستوعب نسبة كبيرة من اليد العاملة¹، فالنشاط الزراعي وتربية الماشية هي أهم المحاور التي يقوم عليها اقتصاد الجماعة.

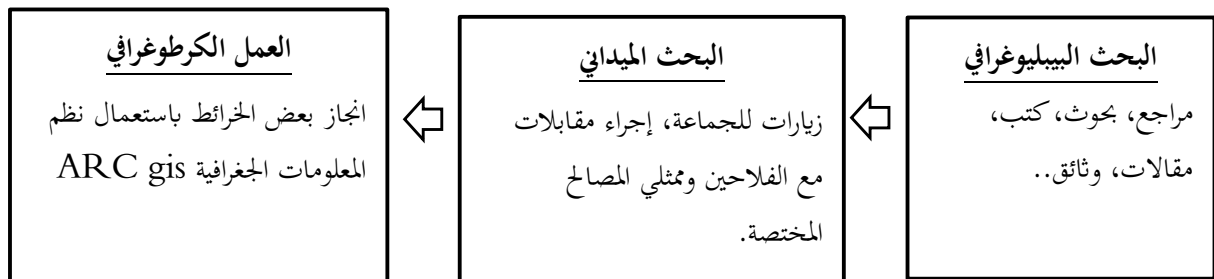
ولا شك أن المياه هي أحد الأعمدة الأساسية في قطاع الزراعة، كما تعتبر المحدد الرئيسي للتنمية الزراعية المستدامة². لكن، بالنظر إلى التحديات التي تعرفها الجماعة والمتمثلة في ارتفاع عدد السكان وتزايد متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وكذلك التغيرات المناخية، فإن هذا المورد يتعرض للضغط المتزايد مما يؤثر سلبا على التنمية الزراعية المستدامة.

ومن هذا المنطلق، سنتطرق للعلاقة بين الزراعات الحديثة والقديمة في استعمال الماء، ومعالجة هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

- ❖ ماهي الإمكانيات المائية بجماعة خميس سيدي يحيى؟
- ❖ ماهي الوضعية الحالية والمستقبلية للموارد المائية بالجماعة؟
- ❖ وماهي العوامل المساهمة في استنزافها؟

المنهجية المعتمدة

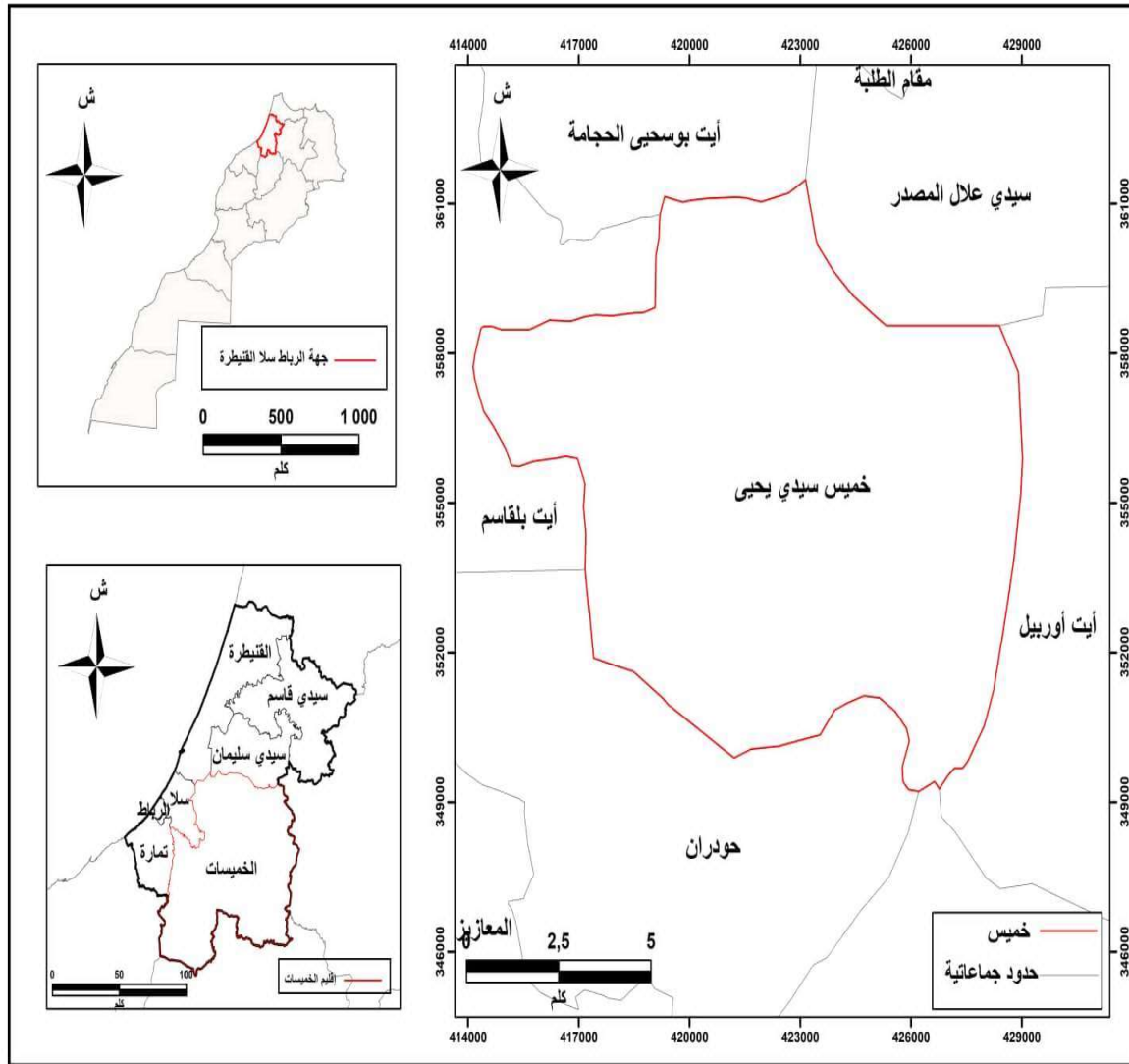
من أجل الإجابة على التساؤلات المقترحة، اعتمدنا بشكل أساسي على العمل الميداني الذي ارتكز على المقابلات والزيارات الميدانية المتكررة لمامسة الموضوع وتعميق الرؤية حوله. ويوضح الشكل رقم 1 أهم المراحل المتبعة لمعالجة الإشكالية:



الشكل رقم 1: الخطوات المنهجية المعتمدة لمعالجة الإشكالية

❖ الموقع الجغرافي للجماعة

تقع جماعة خميس سيدي يحيى ضمن النفوذ الترابي لإقليم الخميسات والتابعة لقيادة عمرو أيت زكري بدائرة تيفلت حدها من جهة الشمال جماعة أيت بويحيى الحجامة، ومن الجنوب جماعة حودران، ومن الغرب جماعة أيت بالقاسم، ومن جهة الشرق جماعة أيت أوربيل وجماعة سيدي علال المصدر³. كما تقع الجماعة بالهضبة الوسطى الشرقية وهي من بين أهم قطب ثلاثي فلاحى واقتصادي بالإقليم فهي على مقربة من مجموعة من المدن والتجمعات الحضرية الكبرى (الشكل رقم 2).



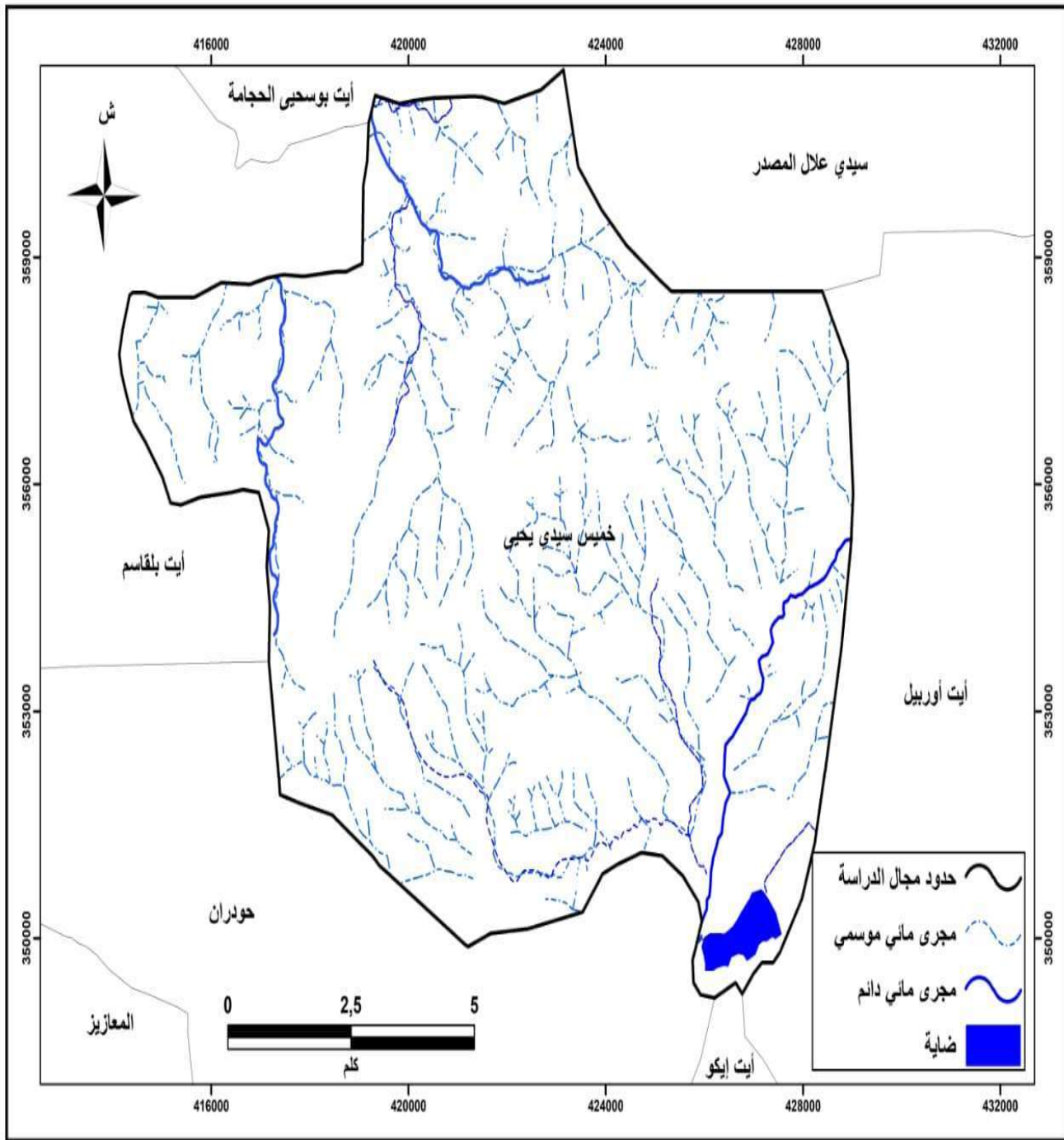
المصدر: الخريطة الإدارية لتيفلت 2022 (بتصرف)

شكل رقم 2: خريطة موقع جماعة خميس سيدي يحيى

I. نتائج الدراسة

1. الإمكانيات المائية بجماعة خميس سيدي يحيى

تتوفر جماعة خميس سيدي يحيى على إمكانيات مائية سطحية وجوفية مهمة يتم الاعتماد على مصادر هذه المياه أساسا في الشرب والاستعمالات المنزلية والفلاحية (الشكل رقم 3).



المصدر: مركز الاستشارة الفلاحية بتيفلت 2022 (بتصرف)

شكل رقم 3: الموارد المائية بجماعة خميس سيدي يحيى

كما تعبر الجماعة مجموعة من الأودية والشعب المائية أهمها واد أسغاو، وواد الودينات وسيدي بوشاهد وواد سيدي يحيى وواد حواشة الموسمي. كما تتوفر الجماعة على مجموعة من العيون والضايات كعين بودريس وضاينة الرومي التي تحتل أزيد من 90 هكتار وتعتبر من البحيرات الدائمة.⁴



صورة رقم 2: واد حواشة



صورة رقم 1: ضاية رومي

المصدر: العمل الميداني نونبر 2021

2. الوضعية الحالية والمستقبلية للموارد المائية بالجماعة

❖ الوضعية الحالية للموارد المائية بالجماعة

عرفت الجماعة في هذه السنوات الأخيرة تراجعا كبيرا في فرشاتها المائية نتيجة قلة التساقطات وتوالي سنوات الجفاف، فالجماعة تعاني من جفاف حاد في كل من عيونها وواديانها وأيضا إلى جفاف مجموعة كبيرة من الآبار على مختلف أرجاء الجماعة (الصورة رقم 3)، وانخفاض منسوب مياه الآبار الأخرى وعدد ساعات الضخ، الأمر الراجع على عدم احترام المقياس القانوني لحفر الآبار بالمنطقة⁵، وأيضا إلى الحفر العشوائي لها.



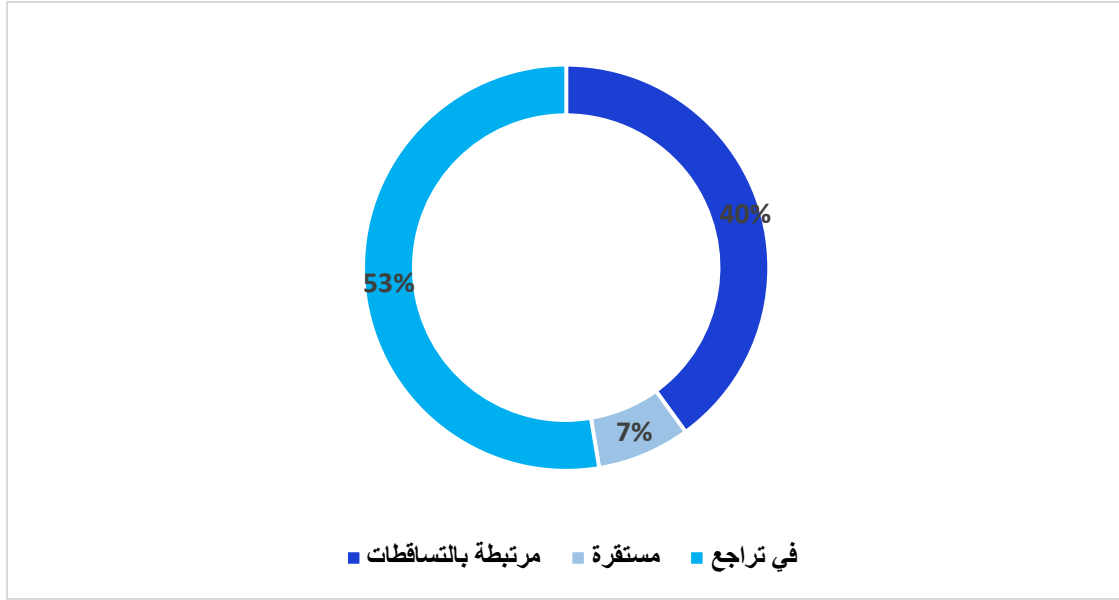
المصدر: العمل الميداني نونبر 2022

صورة رقم 3: عين بودريس



❖ الوضعية المستقبلية للموارد المائية بالجماعة

تتأثر الموارد المائية بجماعة خميس سيدي يحيى مثلها مثل باقي مدن وجماعات المغرب بالتساقطات المطرية السنوية. لذلك، فالحفاظ على هذه الموارد وضمان استدامتها بالخصوص رهين برؤية الفلاحين وتصورهم لمستقبل هذه الثروة داخل الجماعة (الشكل رقم 4).



المصدر: العمل الميداني 2022

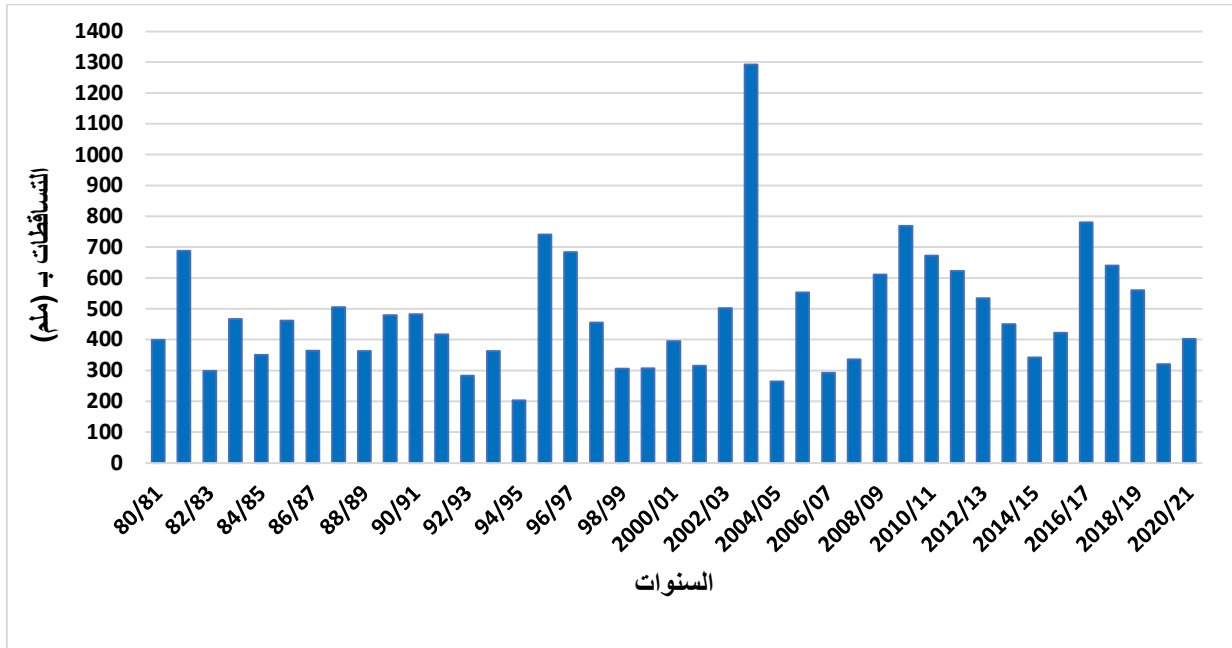
شكل رقم 4: تصورات الفلاحين بجماعة خميس سيدي يحيى لمستقبل الموارد المائية

من خلال الشكل أعلاه يظهر أن تصورات الفلاحين حول مستقبل الموارد المائية يطبعها نوع من الإدراك لمخاطر شح هذه المادة الحيوية وما تتعرض له من استنزاف مفرط، فأكثر من 7% من الفلاحين لا يبدو عليهم أي تخوف من نقصان هذه المادة وتأثيرها ذلك على أنشطتهم الفلاحية، بينما 40% من الفلاحين يربطون تراجع أو زيادة الموارد المائية مرتبطة بالتساقطات المطرية السنوية التي تعرفها الجماعة و53% من الفلاحون مدركون لهذه المخاطر ويرون أن الاستنزاف المفرط لها سينعكس سلبا على الثروة المائية بالجماعة وهذا سيؤثر على مردودية حيازتهم الفلاحية، لأنها ستفرض عليهم تكاليف إضافية ستثقل كاهلهم وتقلل من هامش الربح لديهم، نظرا لما تعانيه الجماعة من قلة التساقطات وتوالي سنوات الجفاف على المنطقة.

3. العوامل المساهمة في استنزاف الموارد المائية بالجماعة

أ- عدم انتظام التساقطات

تعرف جماعة خميس سيدي يحيى تفاوتات في كمية التساقطات من سنة إلى أخرى، إذ تتعاقب السنوات الرطبة مع السنوات الجافة بدون انتظام، حيث تتلقى المحطة كميات مطرية تقل عن المعدل وهو 432 ملم مثل سنوات 1993-1999-2005، كما عرف في السنوات الأخيرة 2015-2019 معدل تساقطات يقل عن 300 ملم، في المقابل تتلقى السنوات الرطبة كمية تفوق المعدل السنوي بـ 50%، بحيث تتركز في فصلي الخريف والشتاء بينما يمتد الفصل الجاف خمسة أشهر من ماي إلى شتنبر⁶، مما يزيد من حدة هذا الوضع مما يدل على عدم انتظام كمية التساقطات و تقلبها من سنة إلى أخرى حيث تعاقبت على المنطقة فترات جافة و أخرى مطيرة ويبدو أن عدد الفترات الجافة تنزع إلى تجاوز الفترات المطيرة. وهي خاصية تميز المناخ المتوسطي (الشكل رقم 50).



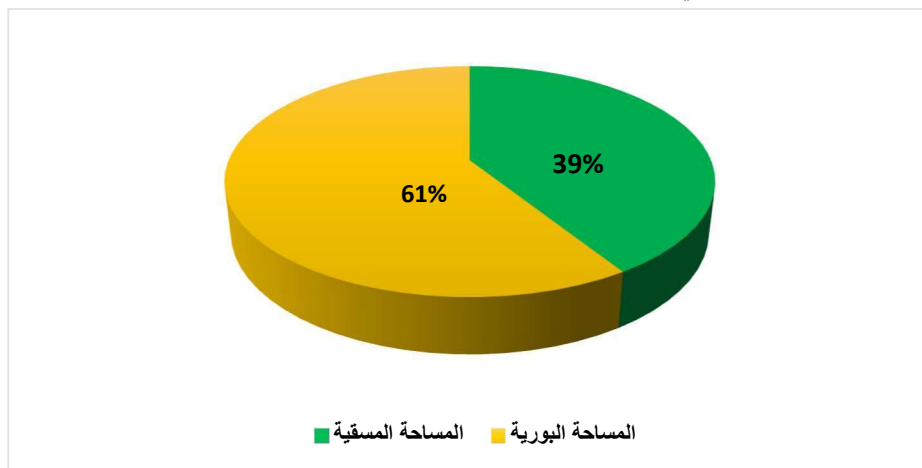
المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بالخميسات 2022

شكل رقم 5: التساقطات السنوية بجماعة خميس سيدي يحيى خلال الفترة الممتدة بين 1980 و2020

2- استعمال الأرض

تعتبر الفلاحة أحد أهم القطاعات الحيوية في اقتصاد جماعة خميس سيدي يحيى، حيث يزاول جل سكان الجماعة نشاط الزراعة باعتباره أهم وسيلة للعيش⁷ لذلك، يلجأ الفلاحون بالجماعة إلى الزراعة المسقية بجانب الزراعة البورية، يرجع ذلك إلى ضعف المردودية بسبب عدم انتظام التساقطات المطرية وتوالي سنوات الجفاف، بالإضافة إلى ارتفاع كلفة المصاريف الزراعية لتحسين الإنتاج.

❖ أشكال استغلال الأراضي بالجماعة



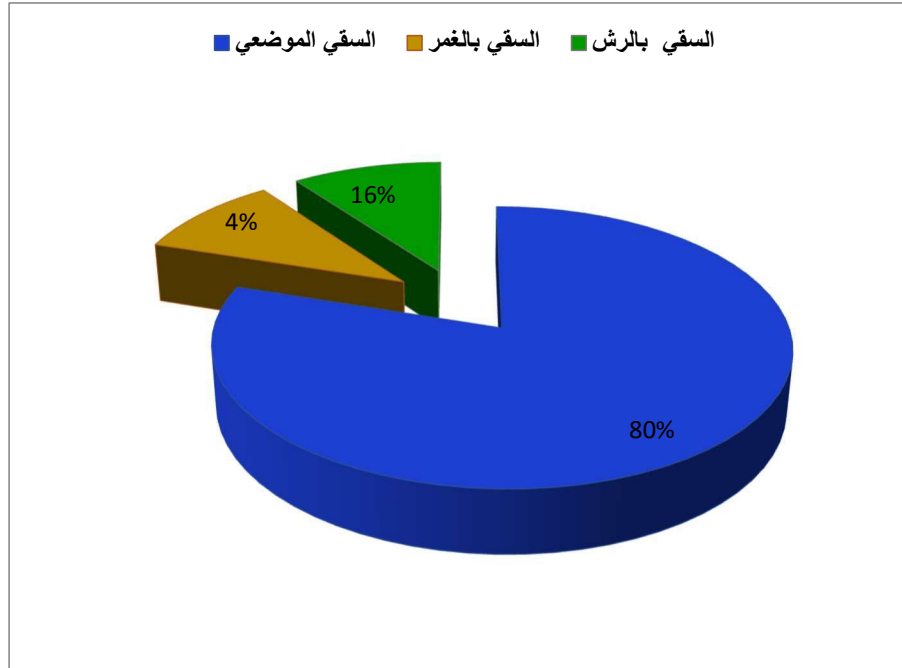
المصدر: العمل الميداني 2022



شكل رقم 6: توزيع المساحة حسب نوع الأراضي

توضح معطيات الشكل رقم 6 أن أغلب الأراضي بجماعة خميس سيدي يحيى هي أراضي بورية تمثل بنسبة 61% وذلك راجع لكون المنطقة تعرف نقص في الموارد المائية بالإضافة إلى ارتفاع درجات الحرارة وقلة التساقطات، وأن أغلب المزروعات هي الحبوب والمزروعات العلفية التي تعتمد على التساقطات المطرية الموسمية فقط، بينما هناك بعض الدواوير بالمنطقة التي تعتمد بالإضافة إلى الزراعات البورية في أنشطتها على الزراعات المسقية بنسبة 39% وذلك راجع إلى قرب الفرشة المائية من السطح.

❖ طرق الري بالجماعة



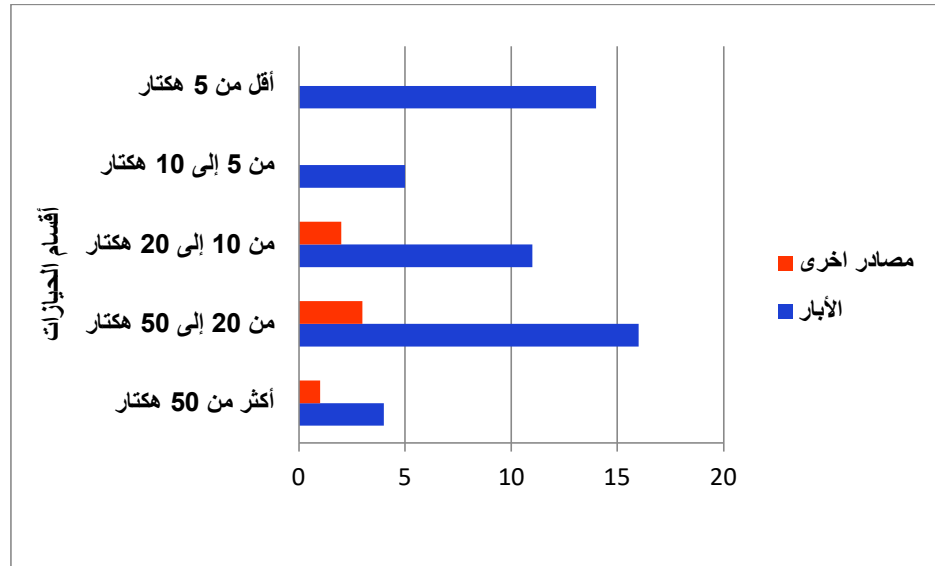
المصدر: العمل الميداني 2022

شكل رقم 7: توزيع الأراضي المسقية حسب نوع السقي

يتضح من خلال الشكل رقم 7 أن السقي الموضعي يعتبر من أهم تقنيات السقي المعتمدة بالجماعة إذ يعتمد حوالى 80% من الفلاحين ، ويبلغ متوسط عدد ساعات السقي بهذا الأسلوب حوالى 6 ساعات يوميا ،بينما تتوزع النسبة الباقية بشكل متساو تقريبا على تقنيتي السقي بالرش 10% والسقي بالغمر 10% أيضا⁸، بمعدل 10 ساعات يوميا للأولى وأقل من 5 ساعات للثانية ، مع الإشارة إلى أن عدد ساعات السقي في كل الأساليب المعتمدة تتمدد وتتقلص حسب مراحل نمو المزروعات وحسب الظروف المناخية والفصول وأيضا حسب نوعية التربة المتواجدة بالجماعة⁹ ، وهو ما يفسر أيضا عمق الفرشة المائية إذ يتجاوز عمق بعض الآبار حاليا 200 مترا.

❖ مصادر السقي بالجماعة

تعتمد الزراعة بجماعة خميس سيدي يحيى على مصادر مختلفة للسقي، مبنية أساسا على الموارد والظروف المتاحة، ومن بين أهم مصادر السقي بالجماعة نجد (الشكل رقم 8):



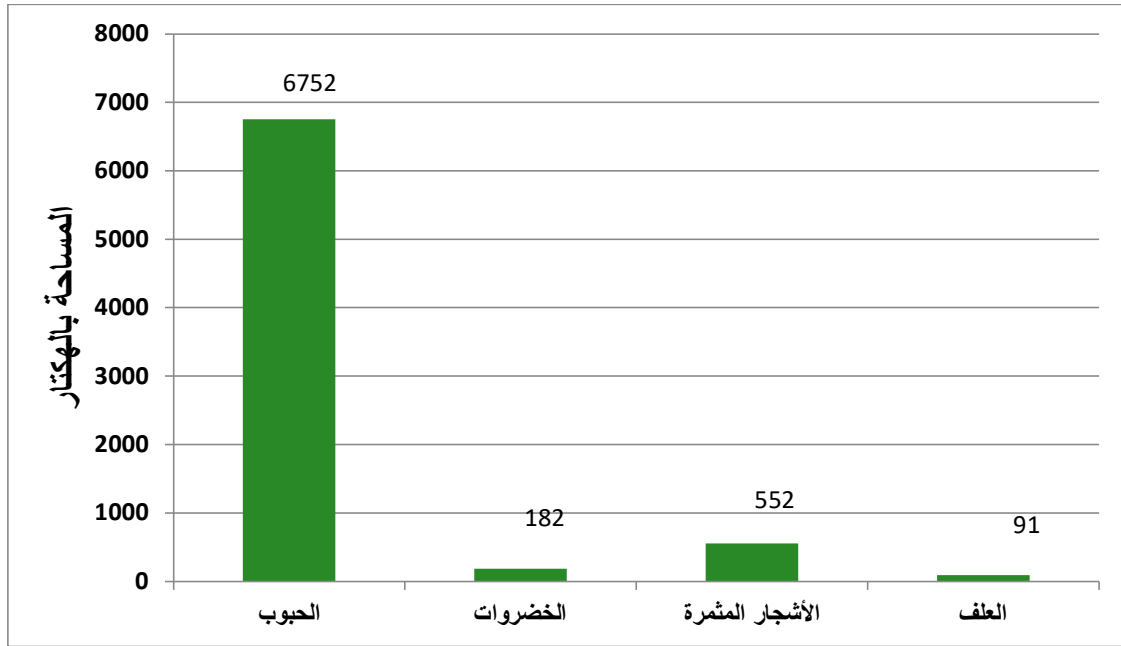
المصدر: العمل الميداني 2022

شكل رقم 8: توزيع الأراضي المسقية حسب مصدر السقي

يتضح من خلال تحليل الشكل رقم 8 أن الآبار هي المصدر الرئيسي لسقي الحيازات الفلاحية بجميع مستوياتها، ويبلغ عددها 50 بئرا حسب العينة المعمول بها بمعدل 1,48 بئر لكل حيازة فلاحية فهذه الآبار تلي كل حاجيات الساكنة سواء تعلق الأمر بمتطلبات الحياة اليومية أو لسقي فلاحتها. تستخرج مياهها غالبا عبر محركات الضخ التي تتراوح قوتها ما بين 2 و15 خيل. كما يعتمد الفلاحون على مصادر أخرى للسقي وذلك بالاعتماد على الأنهار المجاورة للأراضي الفلاحية بالإضافة إلى السواقي والعيون القريبة.

❖ التنوع الزراعي / الدورة الزراعية

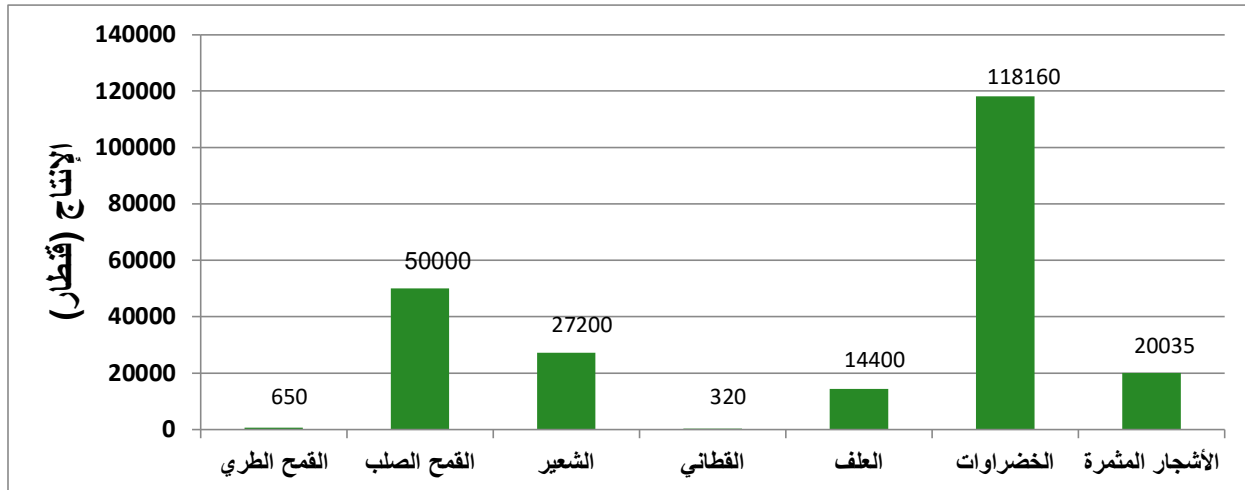
عرفت جماعة خميس سيدي يحيى قديما نشاطا زراعيا موحدا ألا وهو زراعة الحبوب وتربية الماشية، إذ كانت تعتمد بالخصوص على الزراعات البورية كزراعة حبوب القمح صلب و القمح الطري، و الشعير و الخرطال بالإضافة إلى زراعة بعض أنواع القطاني كالقول والعقدس والحمص وبعض أنواع الخضر للاستغلاليات المعيشية كالبطاطس والطماطم والقرع الأحمر¹⁰، لكن مع دخول الاستعمار أضاف زراعة عنب الكحول الممتاز فحافظ على نفس الزراعات السابقة نظرا للخصائص الجغرافية و الطبوغرافي التي تعرفها المنطقة بالإضافة إلى نوع المناخ السائد بالجماعة ونوع التربة (الشكل رقم 9).



المصدر: الإحصاء الفلاحي لسنة 1996

شكل رقم 9: المساحة المزروعة حسب نوع المنتوجات بجماعة خميس سيدي يحيى سنة 1996

نلاحظ من خلال تحليل معطيات الشكل رقم 9 أن نسبة إنتاج الحبوب خلال سنة 1996 مقارنة مع باقي المزروعات الأخرى بمساحة تقدر ب 6752 هكتار، بينما لا تتجاوز مساحة باقي المزروعات 700 هكتار.



المصدر: تقرير برنامج عمل جماعة خميس سيدي يحيى 2017-2022

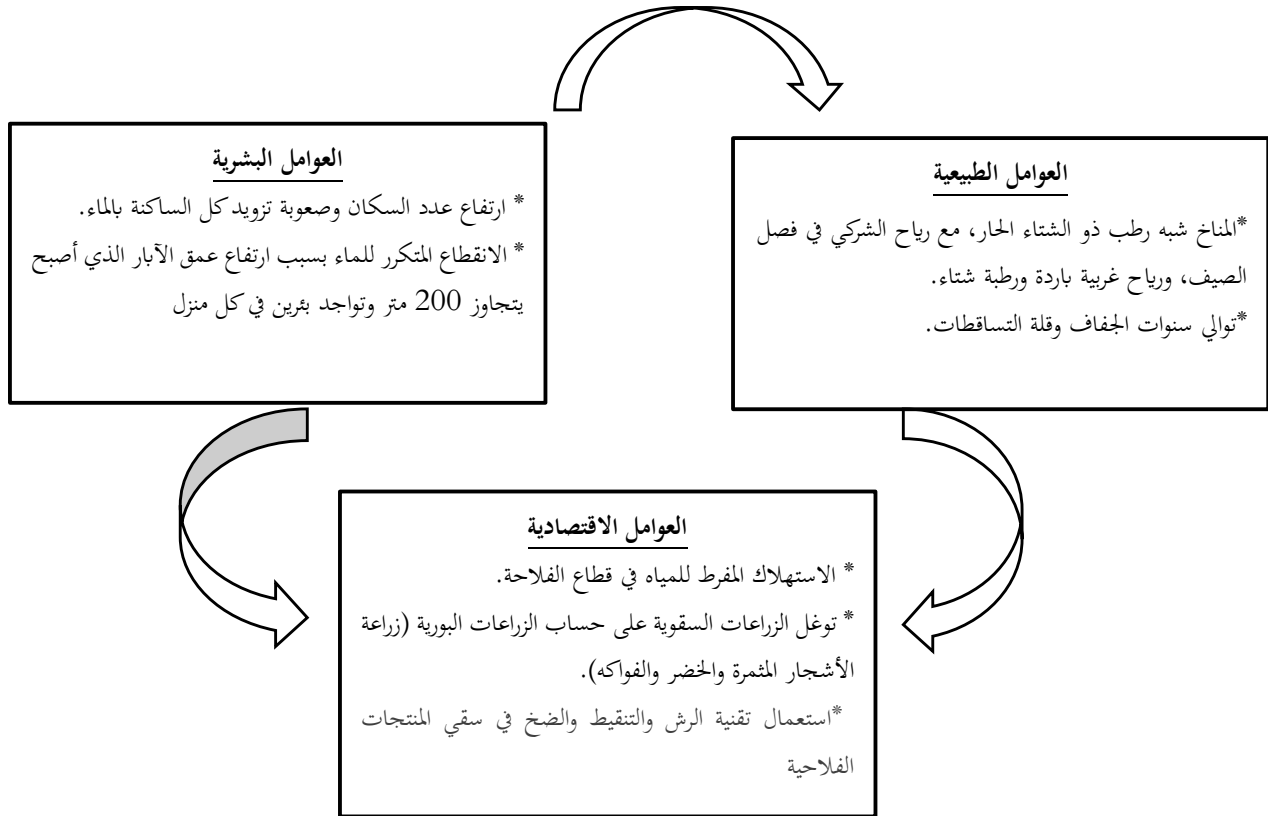
شكل رقم 10: توزيع الإنتاج بجماعة خميس سيدي يحيى لسنة 2017/2022

ونتيجة لذلك فإن زراعة الخضراوات بجماعة خميس سيدي يحيى تحتل المرتبة الأولى في معدل الإنتاج مقارنة مع باقي المزروعات الأخرى، يليها إنتاج القمح الصلب والشعير بمتوسط معدل إنتاج يصل إلى 30.000 قنطار خلال سنة 2017.



كما نستنتج من خلال الشكلين 9 و 10 اختلاف وتنوع المزروعات بجماعة خميس سيدي يحيى ما بين سنة 1996 التي كان يطغى على فلاحيتها آنذاك زراعة الحبوب وقليل من المزروعات الأخرى المعيشية، وبين سنة 2017 و 2022 التي تعرف تنوع وهيمنة الزراعة المسقية مقارنة مع الزراعة البورية التي تعتبر أساس الفلاحة بالجماعة، فإننا نلاحظ ارتفاع نسبة إنتاج الخضروات التي أصبحت موجهة نحو التسويق، فحسب ما جاء في الشكل... فقد أصبح إنتاج الحبوب يعرف تراجعاً كبيراً في السنوات الأخيرة لعدم انتظام التساقطات (شكل رقم 2)، حيث لجأ العديد من الفلاحين خصوصاً في الدواوير التي تتوفر على فرشاة مائية قريبة من السطح (الزبالة، آيت اشي، آيت ملوك) إلى الاستثمار في أراضيهم الزراعية نحو الزراعات السقوية.¹¹

وعموماً، يمكن إجمال العوامل المساهمة في استنزاف الموارد المائية بالجماعة فيما يلي (الخطاطة رقم 2):





خاتمة

تتوفر الجماعة الترابية خميس سيدي يحيى على عناصر طبيعية متنوعة، فمن الناحية الطبوغرافية تمتاز الجماعة بطابع الانبساط وبالتالي سهولة الاستغلال وتوفير مجالات للرعي ولتربية النحل، فمع وجود تربة متنوعة وخصبة، وموارد مائية سطحية وباطنية ساعدت الساكنة وشجعتهم على مواصلة النشاط الزراعي وتربية الماشية، فهذه المؤهلات الطبيعية ساهمت في تطوير المجال الاقتصادي وبلورته بخميس سيدي يحيى.

فسيادة المناخ المتوسطي الحار والجاف صيفا، والدفئ والرطب شتاء بالإضافة إلى ساكنة نشاطها الأساسي الفلاحة، ساهم في كون الجماعة أضحت قبلة جاذبة للاستثمارات الفلاحية. لكن، العديد من الاكراهات الطبيعية والبشرية والمتجلية أساسا في تراجع الفرشات المائية بسبب الضغط المححف الذي تتعرض له من طرف الساكنة وجفاف مجموعة من العيون والأودية بسبب عدم انتظام التساقطات وتوالي سنوات الجفاف الأخيرة حالت دون تحقيق تنمية فلاحية مستدامة بالجماعة.

ومن أجل ضمان استمرارية واستدامة الموارد المائية وتأمينها، لا بد من انخراط العنصر البشري وتوعيته بأهمية الحفاظ عليها واستغلالها بشكل معقلن ورشيد.

الهوامش:

- 1 برنامج عمل جماعة خميس سيدي يحيى، 2017-2022.
- 2 المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2008 التقرير السنوي لأوضاع الأمن الغذائي، الخرطوم، السودان.
- 3 منوغرافية جماعة خميس سيدي يحيى، 2005-2006.
- 4 برنامج عمل جماعة خميس سيدي يحيى، 2017-2022.
- 5 السلطة المحلية لجماعة خميس سيدي يحيى، 2022.
- 6 المديرية الإقليمية للفلاحة بمدينة الخميسات، 2020.
- 7 أقصي نجيب، 2014 مقالة حول السياسة الفلاحية والتنمية القروية بالمغرب. مقارنة نظرية للمسألة الزراعية.
- 8 برنامج عمل جماعة خميس سيدي يحيى 2017-2022.
- 9 الأكل المختار (2004)، كتاب دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية حالة بن سليمان، دار أبي رقرق للطباعة والنشر الرباط.
- 10 مركز الاستشارة الفلاحية بتيفلت 2022.
- 11 السلطة المحلية 2022، لجماعة خميس سيدي يحيى.